

حوار مع نيكولاس فان دام، صاحب «الصراع على السلطة...»:

سورية تود الانسحاب من لبنان والطائفية غير موجودة رسمياً

حاورته: امينة خيري

■ التقت «الحياة» السفير الهولندي في القاهرة، نيكولاس فان دام، صاحب كتاب «الصراع على السلطة في سورية» الذي صدر مؤخراً عن «مكتبة مدبولي» بالعربية، مترجماً عن طبعة جديدة تغطي الفترة الممتدة حتى ١٩٩٤ (بعد ان اقتصر الطبعة الاولى على مرحلة ١٩٦٣ - ١٩٧٠).

في ما يأتي نص الحوار:

● كيف تؤثر مسألة الصراع على الخلافة على الوضع في سورية؟

بالإضافة الى السيناريوهات السابق ذكرها في الكتاب، هناك السيناريو النظري الخاص بالتوصل الى المزيد من الديمقراطية. لكني لا أرى ذلك السيناريو من داخل السلطة. ولا يمكن انكار وجود بعض التغييرات لكنها تغييرات هامشية لأن النظام احتكاري، ولا يمكن مثلاً تقبل صدور جرائد معارضة في سورية مثل تلك التي تصدر في مصر.

● هل يساهم التحرر الاقتصادي في سورية في تغيير طبيعة المجموعة الحاكمة؟

التحرر الاقتصادي لا يؤدي بالضرورة الى الديمقراطية السياسية، فيمكن ان يكون هناك نظام منفتح اقتصادياً في ظل نظام يحترق السلطة. وسورية خبير مثال على ذلك، فالبورجوازيون السنيون مسموح لهم القيام بكل أنواع المعاملات الاقتصادية، ولكنه يظل نظاماً احتكاريًا.

● في حال التوصل الى تسوية سورية - اسرائيلية، ماذا يكون مصير الجيش السوري؟ وهل ينعكس ذلك على الوضع في داخل البلد؟

- لو تم التوصل الى سلام، قد يتقلص حجم الجيش، ولكن كما رأينا في المنطقة، فإن التوصل الى السلام لا يعني بالضرورة تخفيض حجم الجيش، مثل مصر التي لم تخفص حجم جيشها بعد السلام مع اسرائيل.

كما ان الاتفاق العسكري قد يتقلص، ومن شأن ذلك ان يعود بالنفحة على الشعب، ولكن المؤسسة العسكرية قد تفضل الإبقاء على مكانتها وحجمها. على الأرجح ان الحزب العسكري سيتقلص، وإن كان ذلك ستقابلته اعتراضات كثيرة كما هي الحال في أي بلد في العالم. أما تأثير ذلك على الأوضاع في الداخل، فإن كثيرين من العسكريين يحتفظون بوظائف أخرى غير عسكرية، إلا أن نمط المجتمع الانتاجي ككل قد يتغير نحو الأفضل، لكن ذلك يعتمد

على الظروف والاضواح الاقتصادية العالمية.

● مع انتهاء الحرب الباردة وبالتالي الاعتماد السوري على الاتحاد السوفياتي، هل تكون الولايات المتحدة الاميركية بديلاً؟

- قد يكون ذلك على الصعيد الاقتصادي فقط، لكنه لا يعني بالضرورة حدوث تغييرات سياسية. فسورية لا تود الاحتفاظ بناواصر صلات كثيرة مع أي قوى عظمى، وتود أن تعتمد على برنامج إصلاحي خاص بها لا يكون مفروضاً عليها من قبل دولة أخرى أو من البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي.

● كيف تقيم المعارضة السورية اليوم؟ وما هي آفاقها؟

- المعارضة ضعيفة جداً، لقد شهدت سورية ثورات وانقلابات، ولكن المعارضة لم تتخذ جانباً دون آخر، وتم إدخال من لديهم استعداد ضمن النظام، وهي غير مجدية على الإطلاق. هناك «الجهة الوطنية التقدمية» وهي «معارضة» حكومية تعمل مع النظام وفي ظله. هناك بالطبع معارضون يعيشون في الخارج، ولكنهم تعرضوا لضغوط جمّة.

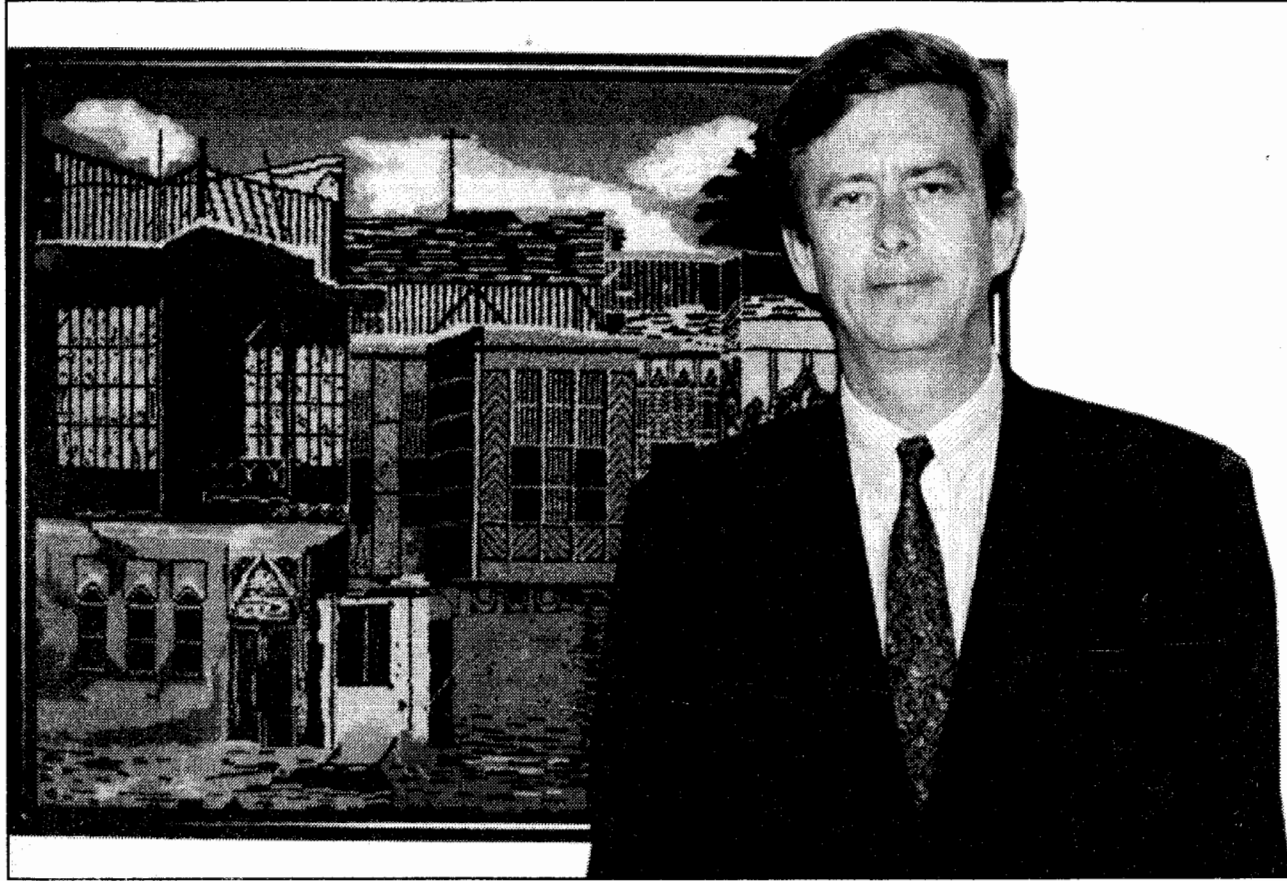
● أين تقع المشكلة اللبنانية في الساحة السورية اليوم؟

- لا تزال سورية تسيطر على لبنان، ولكني لا اعتقد أن لديها أي نية لضمه، ولو أرادت ذلك، لفعلت منذ زمن، بل أعتقد أن سورية ستكون سعيدة لو تمكنت من الانسحاب من لبنان. ولكن إحدى المشاكل التي تحول دون حدوث ذلك ان اسرائيل لا تزال في لبنان. ويمكن تفسير الوجود السوري في لبنان في ضوء الصراع العربي - الاسرائيلي والمصالح الاستراتيجية لاسرائيل في لبنان. لذا فعلى سورية الوجود هناك حتى تتمكن من مواجهة العدو الاسرائيلي، أي ان الوجود السوري يرتبط بعمنية السلام. لو انسحبت اسرائيل من لبنان، توقعنا انسحاباً سورياً كذلك.

والحكومة اللبنانية حالياً تحكم سيطرتها على اجزاء أكبر من لبنان بعكس الحكومات اليمينية في الاعوام السابقة، ولا اعتقد انها ستكون صورية وخاضعة لسورية بعد الانسحاب، إلا أن الحكومتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً، وقد يقل ذلك بعد التوصل الى حل سلمي شامل، فلن يكون هناك مثلاً حكومة في بيروت تمثل خطراً استراتيجياً على سورية بمساعدة اسرائيل.

● ما الذي يحافظ على تماسك المجتمع السوري رغم عدد الطوائف الكبيرة؟

- الحكومة في سورية ذات سياسة وطنية - لو رسمياً فقط على الأقل - بمعنى ان مواطنيها جميعاً



في البحث فيها، ما وجدته صعباً للغاية ان الموضوع نفسه، الطائفية، غير موجود على المستوى الرسمي. وقد وجدت في خلال بحثي في سورية اني لو سألت الناس فلن أحصل على اجابات، ولو لم اسأل، فإنهم سيخبروني بالكثير. وهذا يعني أن عليك ان تمضي فترة طويلة هناك. أما المسؤولون فهم غاية في الحرص في ما يقولون. زيارتي الاولى لسورية كانت في ١٩٦٤، ثم زرتها عشرات المرات بعد ذلك، كما عيّنت في لبنان مرتين في ١٩٧٤/١٩٧٥ و ١٩٨٣/١٩٨٠.

سواء والجميع في سورية يتحدث العربية، ربما باستثناء الأكراد، والاختلاف طائفي فقط، هناك بالطبع انفجارات تحدث في سورية، مثل ما حدث في حمص في عام ١٩٨٢ والتي كانت تنذر باندلاع حرب أهلية، إلا ان انقساماً لم يحدث في القوات المسلحة إذ لا يوجد اختلاف في اللغة والجنسية، كما هي الحال في يوغوسلافيا السابقة مثلاً.

● لماذا كتبت ذلك الكتاب؟

- يجب ان تحب دولة لكي تستثمر وقتنا طويلاً

بعدما نشر الكتاب للمرة الاولى، حاز على تقدير كبير في الداخل، ولكن ذلك يختلف عن الإفصاح بالتقدير علناً. واذكر ان وزير الاعلام السابق أحمد اسكندر أحمد هاجم الكتاب بشدة في مقابلة أجراها معه الصحافي البريطاني روبرت فيسك. وهناك دراسات ومؤلفات منعت رسمياً من الدخول الى سورية ولكنها على رغم ذلك متداولة مثل كتاب باتريك سيل. وقد سألت عنه في إحدى المكتبات هناك وقيل لي انه غير موجود، وما ان غادرت المكتبة حتى عرض علي شراءه.